صورة البطل الأسطوري في الحكايات الشعبية السواحيلية
فومو ليونجو نموذجًا

أ. إيناس إبراهيم أحمد[*]

أ.د. أميمة عبد الرحمن خشبة[**] أ.د. وائل نبيل[***]

• **مُلخص:**

تنتشر الأساطير والحكايات الشعبية انتشارًا واسعًا في المجتمعات المختلفة، وتعد هذه الحكايات موروثًا ثقافيًا والمرآة العاكسة لعادات المجتمع وتقاليده، وتشير إلى العوامل السلبية والإيجابية في المجتمع، تحافظ عليه كل أمة، فهي سريعة الانتشار وتنتشر عبر أجيال عديدة؛ من أجل الحفاظ على هويتها وتراثها. وهذه الحكايات قد تكون أحداثها واقعية، أو خيالية، وتكون إما نثرًا أو شعرًا ولكن أهم ما يميزها جذب اهتمام المستمعين والقارئين. وفي هذا السياق، تعرض الدراسة مفاهيم ترتبط بالأدب الشعبي والذي يضم في طياته الكثير ومنها (الحكاية الشعبية، والحكايات الأسطورية، والخرافية،..) كدراسة نظرية، ثم تنتقل إلى الجانب التطبيقي من خلال كشف صورة البطل قديمًا في المجتمع السواحيلي وذلك بعرض نموذج من أشهر نماذج الأساطير السواحيلية، وهو البطل فومو ليونجو المحارب والمدافع عن شعبه والذي يتميز بصفات أذهلت كل من سمع حكايته، ولذلك يعد من أشهر ما يميز التراث السواحيلي الشفاهي، وما زالت تذكر حكايته وبطولاته إلى الآن. كما تعرض الدراسة بعض ما يميز كل من يطلق عليه بطل أسطوري، ويجعله مختلفًا عن باقي البشر.

الكلمات المفتاحية: الحكاية الشعبية، الأسطورة، فومو ليونجو، المجتمع السواحيلي

---

[*] باحثة ماجستير بقسم اللغات الإفريقية – كلية الألسن – جامعة عين شمس.

[**] أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية – كلية الألسن – جامعة عين شمس.

[***] أستاذ الأدب السواحيلي بقسم اللغات الإفريقية – كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر.

The image of the Legendary Hero in Swahili Folk Tales Fumo Liyongo as a Model

Enas I. Ahmed

Prof. Dr. Omaima A. Khashaba Prof. Dr. Wael Nabil

- **Abstract**

Myths and folk tales spread widely in different societies, and these tales are considered a cultural heritage, preserved by every nation, and passed on from generation to generation. In order to preserve its identity and heritage. In this context, the study presents concepts related to the popular heritage as a theoretical study, and then moves to the practical side by presenting one of the most famous models of legends in the Swahili community, which is the legend Fumo Liyongo, which is one of the most famous features of the Swahili oral heritage, and its story and heroics are still remembered until now. The study also presents some of what distinguishes everyone who is called a legendary hero, and makes him different from the rest of the people.

Keywords: Folktale, Myth, Fumo Liyongo, Swahili Society

- **مقدمة:**

يذخر الأدب السواحيلي كغيره من الآداب العالمية الأخرى بالعديد من الأنماط الأدبية، ومن بينها الأدب الشعبي الذي لم يحظ بالكثير من الدراسات؛ ولذلك اهتمت الدراسة بتناول بعض من المفاهيم المرتبطة بالأدب الشعبي، واعتمدت على المنهج التحليلي في عرض أوجه الاختلاف والتشابه والتداخل بين المصطلحات المستخدمة لتوصيف أنواع الأدب الشعبي من حكايات وأساطير وسير شعبية وملاحم، وكذلك التعرف عن قرب على إحدى موروثات المجتمع السواحيلي الثقافية وهو البطل فومو ليونجو والسمات التي تميز أي أسطورة عن غيره من الأشخاص العاديين.

الأدب الشعبي:

كل أمة تذخر بأدبها الخاص والأساطير التي تتناقلها الأجيال، ونتعرف على تلك الأساطير من خلال الأدب الشعبي الذي يحافظ على تراث المجتمعات. يتميز الأدب الشعبي بأنه أدب العوام من الناس ولذلك سمي شعبيًا فهو يعبر عن الطبقات الاجتماعية البسيطة، وكل من حرم من الثقافة. إنه الأدب الذي لا يحتاج إلى أساليب بديعه أو صور جميلة؛ بل ترده الطبقات الكادحة اذا شعرت بالحزن والهم أو في مناسباتهم الخاصة، واذا أرادوا أيضًا ضرب الحكم والأمثال أو توجيه النصح؛ فهم يتجهون إلى حكاية القصص والأساطير ليلًا ولا يعلمون شيئًا عن مؤلفها. إنهم يرون هذا التراث من (شعر أو نثر) وكأنه ملك لهم جميعًا ولذا؛ فإن العديد والعديد من القصص والأسطاير مجهولة المؤلف كالأمثال العامية التي لا يُعرف من قائلها.[1]

ويعرف سعيد علوش الأدب الشعبي بأنه "يستمد خياله من الحياة اليومية لصراع طبقي عبر القرون، والإشكالية المطروحة على هذا الأدب، هي علاقته بالمكتوب.."[2]

1- عامر رشيد السامرائي، مباحث في الأدب الشعبي، وزارة الثقافة والأرشاد في الجمهورية العراقية، بغداد، 1964، ص: 19 – 20.

2– سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولي، 1985، ص: 33.

الحكايات وأنواعها:

وأبرز ما يميز الأدب الشعبي الحكايات التي تنتشر بسهولة بين الناس، وهذه الحكايات تشمل عدة أنواع منها الحكايات الشعبية، والخرافية، والأسطورية، والحكايات البطولية، وتتشابه هذه الحكايات في العديد من الصفات؛ حيث أنها تتغير إلى حد كبير خاصة عندما يتناقلها الرواة فمن الممكن أن يضيفوا إليها أحداثًا قد تصل إلى المبالغة أحيانًا وكذلك من الممكن أن يحذفوا من القصة الأصلية.[1] وجاء تعريف الحكاية في معجم الأدب السواحيلي لموياندا مباتيا كالآتي:

"Ngano: Hadithi za kimapokeo katika fasihi simulizi ambazo husimuliwa kwa lugha ya nathari. Istilahi hii ya ngano, inajumlisha tanzu kadhaa, kama vile hurafa, visa, na mbazi."[2]

(الحكاية: عبارة عن قصص تقليدية في الأدب الشفاهي تُروى نثراً. ويشمل مصطلح الحكاية عدة أنواع فرعية، مثل الخرافات، والقصص، والحكايات الرمزية.)

ومن ألوان الحكايات توجد الحكاية الشعبية التي يعرفها مجدي وهبه بأنها "خرافة أو سرد قصصي تضرب جذورها في أوساط شعب وتعد من مأثوراته التقليدية وخاصًا في التراث الشفاهي. ويغطي المصطلح مدى واسعًا من المواد ابتداءًا من الأساطير السافرة إلى حكايات الجان.." [3]

وتتداخل الحكايات بشكل عام مع أجزائها المختلفة ويصل "التداخل بين جزيئات السير والملاحم مع الحكايات بأنواعها، فما أكثر حجم الجزيئات والتضمينات المهاجرة

1- Timothy Kinoti M'ngaruthi, Fasihi Simulizi na Utamaduni, The Jomo Kenyatta Foundation, Nairobi, Chapa ya Kwanza, 2008, Uk. 13.

2- Mwenda Mbatiah, Kamusi ya Fasihi, Standard Textbooks Graphics and Publishing, Nairobi, Toleo la Kwanza, 2001, Uk. 63.

3 مجدي وهبه، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص: 73.

من السير والملاحم والقصص الشعرية الاستطرادية، إلى الحكايات والخرافات المحلية، والعكس، فالحكايات يطلق عليها الشعبية وأخرى للبطولة، وثالثة أسطورية.." [1]

ويشار إلى الحكايات الشعبية بالسواحيلية ب (Ngano za usuli)[2]، ويعرفها الكاتب الكيني واميتيلا بأنها:

"Ngano za usuli: Hizi ni ngano ambazo huelezea chanzo au asili ya watu fulani na pengine hata maendeleo yake. Ngano za usuli huweza pia kuelezea asili ya mambo mengine au matukio kama kifo, tabia au hali fulani, maumbile katika mazingira ya binadamu kama asili ya maji ya bahari kuwa na chumvi, asili ya bahari kujaa na kupwa n.k."[3]

(الحكايات الشعبية: هي الحكايات التي تهتم بمصدر أو أصل بعض الأشخاص وربما حتى تطورهم. يمكن أن تصف الحكايات الشعبية أيضًا طبيعة أحداث أخرى مثل الموت أو الخلق أو أصل الأشياء، وطبيعة البيئة مثل كون مياه البحر مالحة، والمحيط مليء بالأشياء.)

وعرفها موينداا مباتيا في معجمه الأدبي قائلًا:

"Ngano ya usuli: Aina ya ngano inayosimulia juu ya asili ya vipengele fulani vya utamaduni wa jamii au asili ya maumbile mbalimbali. Tofauti baina ya visasili na ngano za usuli ni kwamba visasili vina mwelekeo wa kidini na vinahusiana na ibada za jamii fulani."[4]

1- شوقي عبدالحكيم، الحكايات الشعبية العربية، دار ابن خلدون، بيروت، الطبعة الأولى، 1980، ص: 20-21.

2- علي شعبان، عبد الحي سالم، القاموس الشامل سواحيلي – عربي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2015، ص: 399.

3- K. W Wamitila, Kamusi ya Fasihi(Istilahi na Nadharia), Focus Books, Nairobi, 2003, Uk.169.

4- Mwenda Mbatiah, Kamusi ya Fasihi, Op.Cit, Uk. 63.

(الحكاية الشعبية: هي نوع من الحكايات التي تحكي عن أصل جوانب معينة من ثقافة المجتمع أو طبيعة المخلوقات المختلفة. الفرق بين الأساطير والحكايات الشعبية هو أن الأساطير لها توجه ديني وترتبط بطقوس مجتمعات معينة.)

كما توجد الحكايات الخرافية، ويأتي تعريفها كالآتي:

"Ngano za mazimwi: Ngano ambazo huwa na zimwi kama mhusika muhimu. Katika ngano kama hizo zimwi huwa ni mui. Anasawiriwa kama kiumbe wa ajabu, mwenye uwezo wa kutenda miujiza, mwovu na anayewadhuru na kuwadhulumu wanadamu."[1]

(الحكايات الخرافية: حكايات يكون الشيطان أو الشبح فيها شخصية مهمة. في مثل هذه الحكايات يكون الشبح شرير. ويتم تصويره على أنه كائن غامض قادر على صنع المعجزات والشر ويؤذي البشر ويضطهدهم.)

أما الحكايات البطولية فمن اسمها تحكي عن بطولات أشخاص معينة في بعض المجتمعات، والتي لا تخلو من ظهور بعض الصفات الخارقة التي تميز هؤلاء الأبطال عن غيرهم، ويذكرهم التاريخ فيما بعد كالأساطير، وأتى تعرفيها في السواحيلية هكذا:

"Ngano za shujaa: Hizi ni ngano ambazo zinasimulia visa au matukio ya ushujaa. Jamii zote za ulimwenguni huwa na visa ambavyo vinawasifu watu fulani ambao walifanya matendo ya ushujaa. Ngano hizi zina lengo la kueleza visa na labda hata mikasa ya watu hao mbalimbali ambao waliwahi kuishi. Ngano zenyewe aghalabu huwa zimejaa chuku. Kuna ngano nyingi za ushujaa katika jamii mbalimbali kama Fumo Liyongo (Uswahilini).."[2]

1- Idem.
2- K. W Wamitila, Kamusi ya Fasihi(Istilahi na Nadharia), Op.Cit, Uk.169.

(الحكايات البطولية: وهي الحكايات التي تروي قصص أو أحداث بطولية. لدى جميع المجتمعات حول العالم قصص تمدح أشخاصًا معينين قاموا بأعمال بطولية. تهدف هذه الحكايات إلى شرح القصص وربما حتى مآسي الأشخاص المختلفين الذين عاشوا ذات يوم. غالبًا ما تكون هذه الحكايات مليئة بالمبالغة. هناك العديد من حكايات البطولة في مجتمعات مختلفة مثل فومو ليونجو في المجتمع السواحيلي..).

والحكايات الأسطورية أو الأسطورة تعني في السواحيلية (Kisasili)[1]، وجاء في المعجم الأدبي السواحيلي:

"Kisasili: Hii ni hadithi ambayo haihusishwi na mwandishi maalum bali hupatikana katika imani zilizopo katika jamii fulani. Aghalabu visasili huhusisha matukio ya kiajabu au yasiyotarajiwa katika maisha ya kawaida au hata ya Miungu. Huweza kuhusisha pia wahusika wa kishujaa wa kihistoria au wa kuaminika ambao wanatenda matendo yanayokiuka uhalisi wa kawaida.

Visasili huakisi muundo wa kitamaduni wa jamii inayohusika. Kwa kuwa kimsingi visasili huhusishwa na hatua ambapo upokezi wa kimdomo unachukua nafasi kubwa. inawezekana kusema visasili huonyesha juhudi za jamii fulani kujaribu kuhifadhi maarifa fulani kujihusu. Hapana lazima ya kisasili kuwa na misingi ya kihistoria inayotambuliwa au inayodhihirika waziwazi."[2]

(الأسطورة: قصة لا تتعلق بمؤلف معين، ولكنها موجودة في معتقدات المجتمعات. تتضمن معظم الأساطير أحداثًا خارقة أو غير متوقعة في الحياة العادية أو حتى للآلهة. ويمكن أن تشمل أيضًا شخصيات بطولية تاريخية أو قابلة للتصديق تقوم بأفعال تتخطى بها حدود الواقع.

1- علي شعبان، عبد الحي سالم، القاموس الشامل سواحيلي – عربي، مرجع سابق، ص: 223.
2- K. W Wamitila, Kamusi ya Fasihi(Istilahi na Nadharia), Op.Cit, Uk. 91.

وتعكس الأساطير البنية الثقافية للمجتمعات. نظرًا لأن الأساطير ترتبط بشكل أساسي بالتناقل الشفاهي. من الممكن القول بأن الأساطيرتعكس الجهود التي تبذلها مجتمعات معينة لمحاولة الحفاظ على هويتها. ليس بالضرورة أن يكون للأساطير أساس تاريخي معترف به أو واضح المعالم.)

وتقوم الأساطير بشرح أمور محيرة ولا تعرف حقيقتها. وإذا كانت حاضرة في سياق تاريخي وطبيعي، فإنها لا تملك حقائق واضحة، لكن من يؤلفها ويرويها يتوارثها من جيل إلى آخر، وتكون جزءًا من أحداث مهمة في ذلك المجتمع. ومن أمثلتها معرفة أصول القبائل أو العشائر، وطبيعة الموت والحياة والبشر والمخلوقات والأرض والقمر والشمس أو طبيعة الأمراض. ومن الممكن أن تُنسب القصص من هذا النوع إلى الله أو الآلهة. كما ينسب للكثير منهم شكل وطبيعة وأفعال معينة، سواء كانت جيدة أو سيئة، تقوم بها الحيوانات أو الحشرات أو حتى أشخاص معينين. ويمكن أيضًا أن يطلق عليها قصص الأصل[1].

وكلمة الأسطورة في السواحيلية يقابلها عدة مصطلحات تحمل أغلبها نفس المعني، ومن بين هذه المصطلحات: مصطلحMighani[2] ومصطلح visakale[3]:

"Mighani/visakale:Hizi ni hadithi za kishujaa kuhusu matukio ya kihistoria au watu mashuhuri hasa wanaosifika kwa ushujaa wao. Wahusika wake huwa ni watu waliotenda mambo ya kishujaa yaliyokiuka uwezo wa binadamu wa kawaida. Kuzaliwa na kukua kwa watu hawa huwa kwa kimiujiza. Kwa mfano, baadhi yao huweza kusababisha vitendo vya kiajabu hata kabla ya kuzaliwa. Wazaliwapo hutenda baadhi ya mambo hata zaidi ya watu wazima. Baadhi yao hudaiwa kula chakula kingi ajabu, kuongea punde tu wazaliwapo na hata kuanza kutabiri mambo. Wengi

1-Timothy Kinoti M'ngaruthi, Fasihi Simulizi na Utamaduni, Op.Cit, Uk. 15.

2- علي شعبان، عبد الحي سالم، القاموس الشامل سواحيلي – عربي، مرجع سابق، ص: 320.

3- المرجع السابق، ص: 222.

wao husifiwa kwa kuzikomboa jamii zaona maadui zao wa karibu na wa ughaibuni kupitia ujasiri wao wa ajabu.

Maisha yao aghalabu huishia kwa kusalitiwa na jamii zao wa karibu ambao ama huonea gere kwa mafanikio yao makubwa, au hutumiwa na maadui zao ili kuwaangamiza."[1]

(الأساطير: قصص بطولية تعبر عن أحداث تاريخية أو أناس عرفوا بشجاعتهم. شخصياتها عادة ما تكون أشخاصًا قاموا ببطولات تفوق قدرات الناس العاديين. إن ولادة هؤلاء الأبطال ونموهم معجزة. على سبيل المثال، يمكن لبعضهم أن يكون السبب في أفعال خارقة حتى قبل الولادة. يقوم حديثي الولادة منهم بأمور تفوق البالغين. ويقال إن بعضهم يأكل الكثير من الطعام، ويتحدث بمجرد ولادته، بل ويبدأ في التنبؤ بالأشياء.ويتم الإشادة بالعديد منهم لتحرير مجتمعاتهم من أعدائهم القريبين والغير معلومين من خلال شجاعتهم المذهلة.

غالبًا ما تنتهي حياتهم بالخيانة من قبل مجتمعاتهم القريبة التي إما تستاء من نجاحهم الكبير، أو يستخدمهم الأعداء لتدميرهم.)

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن الفهم أن الحكايات بشكل عام (الشعبية، والخرافية، والبطولية، والأسطورية) تتداخل مع بعضها وتشترك صفاتها في ظهور بعض المبالغة وأحيانًا تحكي برمتها أحداث غير مرتبطة بالواقع ولا يقبلها العقل، ويمكن وصف أي حكاية تمتاز بهذه الصفات بأنها حكاية أسطورية. ولأن لكل حكاية بطل يمكن القول بأن أبطال هذه الحكايات أيضًا أبطال خارقين أو أسطوريين فهم يقومون بأفعال تفوق قدرة الإنسان العادي.

الملاحم الشعرية وتداخلها مع السير الشعبية:

أما عن أدب السيرة الشعبية والملاحم فلم تخلو أيضًا من التداخل والاشتراك في بعض الصفات مثل تناولها لسيرة أحد الأبطال المميزين في مجتمع معين عن طريق

1- Timothy Kinoti M'ngaruthi, Fasihi Simulizi na Utamaduni, Op.Cit, Uk. 15 -16.

الشعر الغنائي وكذلك غلبة البطولة والصفات الخارقة على أبطالها؛ فالبطل يكتسب صفاته من صفات البطل الأسطوري، فيمكن أن يكون البطل حقيقيًا، ولكن تتسم صفاته بالأسطورية والبعد عن الواقع.[1]

فالسيرة تعرض سيرة أنساب قبيلة أو عشيرة أو عائلة حاكمة، وتحكمها ضوابط السرد القصصي أو النثري ويتخللها الشعر، أما الملحمة فيكون أساسها هو الشعر الغنائي أو الإنشائي "فالملحمة قصة شعرية طويلة، ذات اهتمامات بطولية، وقد تكون الملحمة مدونة أو شفهية ومن الممكن أن تجمع بين الاثنين.."[2] "وقد استخدمت معظم شعوب العالم القديم الملاحم الشعرية؛ لحفظ تاريخها وموروثاتها من جيل لآخر، تنشد وتغنى دون حاجة للكتابة في مجتمعات تغلب عليها الأمية.."[3]

كما اتفق المعجم الأدبي السواحيلي في تعريف الملاحم الشعرية وعلاقتها بالأساطير والصفات البطولية لأبطالها:

> "Utendi: Hutumiwa kuelezea shairi refu la kisimulizi linalozungumzia kwa mapana na mtindo wa hali ya juu matendo ya mashujaa au shujaa mmoja. Kimsingi, utendi huwa na sifa nyingi na huweza kuleta pamoja hadithi ya kishujaa, mugani, visasili na hata historia pamoja na ndoto za taifa fulani.."[4]

(الملحمة الشعرية: يستخدم هذا المصطلح لوصف نص شعري طويل يتحدث باستفاضة وبأسلوب رفيع عن تصرفات الأبطال أو بطل واحد. و تتميز

1- سعيد بن سليم الصلتي، وجوه البطل وأقنعته في الرواية العمانية، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، 2022، ص: 9.

2- شوقي عبدالحكيم، السير والملاحم الشعبية العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهره، 2012، ص: 8.

3- المرجع السابق، ص: 9.

4- K. W Wamitila, Kamusi ya Fasihi(Istilahi na Nadharia), Op.Cit, Uk. 333.

الملحمةالشعرية بالعديد من الخصائص ويمكن أن تجمع بين القصة البطولية، والأساطير،وحتى التاريخ بالإضافة إلى أحلام مجتمع معين..)

وقسم الملاحم الشعرية إلى نوعين شفاهية ومكتوبة:

"..Kwa kawaida kuna aina mbili kuu za tendi.Kwanza, ni 'utendi wa kimsingi ambao unahusishwa kwa kiasi kikubwa na Fasihi Simulizi. Utendi wa aina hii hupokezanwa kwa mdomo kupitia kwa wajuzi wa kukariri au mayeli kama ilivyo kwa Epic of Sundiata.

Aina ya pili ni utendi wa kifasihi au utendi andishi'. Sifa mojawapo inayobainisha aina hizi mbili ni kuwepo kwa maburuzo ya kisimulizi (oral traces) katika utendi wa kimsingi ukilinganishwa na utendi andishi. Sifa za mikatizo na kukinzana zinazotokeza katika utendi simulizi hazipatikani katika aina ya pili kwa kuwa kaida za uandishi huwa zimezingatiwa kwa kiasi kikubwa.

Msimulizi wa utendi simulizi hana wakati wa kuyarudia aliyoyasema na kuhakikisha kuwa hayapingani na ayasemayo baadaye. Lakini Mtunzi wa utendi andishi anaweza kuusoma utendi wake mara kadha na kuondoa kukinzana kokote kule. Mfano wa aina ya pili ni Shaka Zulu uliotungwa na Mazisi Kunene. Baadhi ya tendi maarufu za ulimwengu ni: Utenzi wa Fumo Liyongo, Epic of Gilgamesh wa jamii ya Kisumeria (wa-Irak), Das Nibelungenlied ya Wajerumani, The Song of Roland ya Wafaransa, The Poem of the Cid ya Wahispania, Ramayana na Mahabharata za Wahindi na Kalevala ya Wafini n.k."[1]

(..كما يوجد نوعان رئيسيان من الملاحم.أولاً، الملاحم التي ترتبط إلى حد كبير بالأدب الشفاهي. وينتقل هذا النوع شفاهياً عن طريق الخبراء في الحفظ كما في ملحمة سونديانا.

1- Ibid, 333 - 334.

والنوع الثاني هو الملاحم الأدبية أو الملاحم المكتوبة. ومن الخصائص التي تميز بين هذين النوعين وجود آثار شفاهية في الملاحم الأولية مقارنة بالملاحم الكتابية. وكذلك لا توجد الاختصارات والتناقضات التي تتميز بها الملاحم الشفاهية في النوع الثاني حيث تخضع الملاحم المكتوبة لقواعد الكتابة إلى حد كبير.

ليس لدى راوي الملاحم الشفاهية الوقت الكافي لتكرار ما قاله والتأكد من أنه لا يتعارض مع ما يقوله لاحقًا. لكن يمكن لمؤلف الملاحم قراءة عمله عدة مرات وإزالة أي تناقضات. مثال على النوع الثاني هو شاكا زولو من تأليف مازيسى كونينى. ومن أشهر الملاحم العالمية: ملحمة فومو ليونجو، ملحمة جلجامش للمجتمع السومري (العراقي)، داس نيبيلونجنليد للألمان، ملحمة رولاند للفرنسيين، قصيدة السيد الإسباني، رامايانا وماهابهاراتا للهنود وكاليفالا الفنلندية وما إلى ذلك.)

البطل الأسطوري وسماته:

إن أول وأقدم صورة ظهر عليها البطل هي الشخصية الأسطورية التي تمتلك قدرات خارقة غير عادية تفوق قدرة الإنسان العادي. ولا يصح أن يطلق على الأسطورة في المطلق خرافة أو كذب كما أوضح أحمد شمس الدين الحجاجي لأنها "لا تزيد عن كونها عقيدة صادقة عند أصحابها وترتبط بالتكوين والوجود والمصير، بمعنى كيف وُجد الكون؟ وما صنع بعد وجود الكون؟ وما هو مصيره بعد الموت. فالأسطورة هي عقيدة لا يتطرق إليها الشك عند أصحابها، كعباد الشجر والبوذيين فهذه هي معتقداتهم التي يصفها العديد بالخرافات والأساطير."[1]

وفي السواحيلية يمكن استخدام مصطلح (Jagina) في الإشارة إلى البطل الأسطوري، خاصة وأن تعريفه في المعجم الأدبي أتى بالضبط يحمل صفات الأسطورة:

1-أحمد شمس الدين الحجاجي، مقال الكتروني، جريدة الأهرام، العدد 49627، 21- 10 - 2022. https://2u.pw/Nm5dtn2

"Jagina ni mtu ambaye humiliki uwezo zaidi kuliko uwezo wa watu wa kawaida na hutumia uwezo huu kiujasiri na huwa tayari kuyahatarisha maisha yake kwa manufaa ya watu wengine.[1]"

(البطل أو الأسطورة هو الشخص الذي يمتلك قوة تفوق قدرة الأشخاص العاديين ويستخدم هذه القوة بشجاعة ومستعد للمخاطرة بحياته لصالح الآخرين.)

معظم الأساطير سواء أكانت التاريخية أم الاجتماعية أم الدينية تشترك في بعض السمات التي تبشر بظهورها والتعرف عليها ومنها:

1- ظهور هذا البطل في فترة زمنية معينة ولمجتمع معين غالبًا ما يعيش فترة حرب ويظهر هذا البطل للدفاع عن مجتمعه والوقوف إلى جانب أهله وعشيرته.

2- غالبًا ما يتنبأ أحد المعبرين بظهور أو مولد بطل ما في يوم ما، وسيخلص هذا البطل قومه من الذل الذي عاشوا فيه طويلاً.

3-عادة ما يكون البطل التاريخي رجلاً، وكذلك الأبطال في الدين مثل النبي عيسى عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

4- يتم التطرق إلى طفولة البطل بشكل بسيط أو ربما لا يتم ذكرها، فهو يولد كطفل عادي ولا يلاحظ أحدًا من قومه أنه سيصبح بطلاً يومًا ما.

5- عادة ما ينحدر من أصل أو عشيرة لها شأنها أو من أسرة ملكية، وغالبًا ما يكون والده ملكًا.

6- يحارب كثيرًا من أجل الحصول على مكانته أو منصبه في الحكم.

7- دائمًا ما يكون له أعداء ومعارضين والحقيقي أن السبب وراء ظهورالبطل هو وجود الأعداء حيث يقوم بمحاربتهم بقوته الخارقه حتى ينقذ مجتمعه من هجماتهم، وعند المقارنه بين هذا البطل وأعدائه تظهر مميزات البطل ويتضح رعب الأعداء منه.

1- Julius Mungai Gichamba, Tasnifu ya Shahada ya Uzamili, Chuo Kikuu cha Nairobi, 2005, Uk. 1.

8- البطل دائمًا محبوب من مجتمعه المتعطش لظهوره لكي يحرر أبناء مجتمعه من الظلم، ودائمًا ما يمجدون فيه حتى تصل شهرته بعيدًا ولأزمنة كثيرة، حتى أن الجميع يحزن لموته للغاية ويشعرون بأنهم أصبحوا بلا مدافع عنهم من هجمات الأعداء، ولا تنتهي محبتهم له بعد موته وحتى بعد أجيال عديدة.

9- غالبًا ما يكون اسم البطل حاملاً لصفاته ويطلق المجتمع عليه هذا الاسم طبقًا لسماته التي تظهر بينهم. مثال: اسم الأسطورة السواحيلية "فومو ليونجو" فاسم (Fumo) هو اسم في السواحيلية يشير إلى أحد الأسلحة (رمح بشفرة عريضة جدًا يستخدم في الحرب لتدمير الأعداء).

10- غالبًا ما يتنقل البطل ويعيش بعيدًا عن موطنه هربًا من أعدائه المتربصين به دائمًا ويريدون قتله، ويكون أغلبهم من الحكام أو الزعماء الذين يخافون أن يستولي على حكمهم خاصة أنه ينال حب الجميع ويطالب أبناء مجتمعه دائمًا بتنصيبه ملكًا عليهم.[1]

ومن السمات المشتركة أيضًا عند البطل الأسطوري أنه " قد يكون ذا أصل إلهى، ويتولى الزعامة بعد عمل جليل يقوم به، أو واجب يؤديه، وهو متوافق مع الآلهة لذلك هي تحيطه بقوتها الخارقة ورعايتها، وهو يعمل للجماعة، ولا يشعر بوجوده الفردي ولا باستقلاليته عن مجتمعه، وموته كذلك يكون في سبيل الجماعة، فحياته إذن قربان على مذبح افتدائها عن طيب نفس وراحة بال."[2]

ويمكن التعرف أكثر على سمات البطل الأسطوري، من خلال الإطلاع على الحكايات والسير الشعبية التي تناولت هذا النوع من الأبطال كسيرة البطل السواحيلي "فومو ليونجو"

1- Julius Mungai Gichamba, Tasnifu ya Shahada ya Uzamili, Op Cit, uk.68-84.

2- نسيمة زمالي، مقال: البطل في الآداب العالمية: من الأسطورة إلى الحداثة، مجلة الذاكرة، العدد 5، 1- 5- 2015، ص 362.
https://archive.alsharekh.org/Articles/337/21915/500869

نبذة مختصرة عن الأسطورة "فومو ليونجو":

ترجع قصة البطل السواحيلي "ليونجو" إلى التراث السواحيلي الشفوي، فذكراه لا تزال عالقة بالأذهان بدرجة كبيرة، وإن مجرد ذكر اسمه يجذب انتباه أي سواحيلي حقيقي، ولا زالت قصته تحكى وتداول بين الناس في مناسبات عديدة ويتفاعلون معها.

كان ليونجو شخصية محبوبة للغاية، وترجع شهرته إلى كونه محاربًا وصيادًا ماهرًا، ورغم اختلاف الآراء حول الفترة الزمنية التي تواجد بها إلا أن أغلب الظن يرجع وجوده إلى القرن الثالث عشر الميلادي.

ترجع بعض الأبحاث أنه اغتصب منه العرش حيث كانت أمه شقيقة الملك وفي هذا الوضع يسمح له بتولي العرش، ويرجع آخرون كونه ابنًا لملك وكان له أخ أصغر والذي اختير حاكمًا بدلًا منه. ويرجع البعض كونه محبوبًا ومدافعًا عن أهله وعشيرته إذا ما ظلموا جعل الملك يحقد عليه، وربما طالب الناس بأن يكون ليونجو حاكمًا عليهم. كانت قوته تظهر في ملامحه الجسدية حيث كان طويل القامة عريض المنكبين مما يتوقع منه دائمًا الغلبة والتفوق، وهذه القوة هي صفة أساسية في الأبطال. كان لا يخشى الألوف حيث يكون بمفرده ويستطيع هزيمتهم، وكانت صورته تدخل الرعب في قلوب أعدائه، ويعتبر ذلك من صفات المبالغة في رسم صورة البطل والتي جعلت منه بطلًا أسطوريًا فلا يمكن لإنسان عادي أن يهزم ألفًا من البشر بمفرده.

كان ليونجو أحد المعارضين والثائرين الذين هددوا عرش الملك. وعزم الملك عدة مرات على التخلص منه، فتحالف مع قبيلة يتسم رجالها بالقوة أن يتخلصوا منه وفي رواية أخرى أن يتزوج منهم فيبتعد عن المدينة، وبالفعل تزوج منهم بعدما أعجب أهل هذه القبيلة بمهارته في رمي السهام والصيد.

لم تنتهِ محاولات الملك في التخلص منه وعندما علم ليونجو بذلك قرر الانسحاب من المدينة، فأرسل وراءه الملك مئة من المسلحين للقبض عليه ويقال أنهم أشربوه النبيذ كي تسهل السيطرة عليه، وبالفعل قبض عليه وحبس في زنزانة مقيد بالسلاسل. تمكن

ليونجو بعد ذلك من الفرار بحيلة ذكية، حيث تمكن من الحصول على مبرد من الحديد في الفطائر التي طلب من الخادمة أن تخير أمه بتحضيرها له، وبالفعل تمكن من الهرب، وذهب إلى الغابة وحيدًا وعاش حياة ذليلة بعد أن كان في مكانة عالية.

لم تكف محاولات الملك في البحث عنه والتخلص منه، وفي هذه المرة اتفق مع ابن ليونجو وفي رواية أخرى ابن أخيه ووعده بأن يكون وزيرًا ويزوجه ابنته إذا تمكن من معرفة سر قوة ليونجو ليسهل قتله، وبالفعل ذهب إلى أبيه وعلم ليونجو الهدف وراء سؤاله له عن سر قوته والسر وراء عدم تمكن أعدائه من التخلص منه، ورغم ذلك أخبره ليونجو أنه إذا طعن بخنجر من النحاس في سرته سيموت.

علم الابن بذلك ثم ذهب إلى الملك ليخبره بالسر الذي علمه؛ فطلب منه الملك أن يقتله بهذه الطريقة، ذهب الابن إلى أبيه وانتظره إلى أن ينام وعلى الفور قام بطعنه بالخنجر في سرته، ومات ليونجو في نهاية مأساوية تبكي كل من يسمعها.[1]

من خلال متابعة هذه القصة يؤكد لنا التاريخ وجود شخصية بهذا الاسم، ولكن لم يعرف بالضبط متى جاء أو تحديدًا المكان الذي وجد به لذلك أضيفت إلى سيرته الكثير من الصفات والمعجزات التي ظل الناس يتغنون بها حتى الآن على ساحل شرق افريقيا، وما يؤكد ذلك أن الأدب السواحيلي المتاح لدينا قد بدأ في القرن الثامن عشر حيث كانت المخطوطات المكتوبة ترجع إلى النصف الأول من هذا القرن.

ولذلك حُرفت سيرته من قبل الرواة الذين أضافوا إليه الكثير واختلط الخيال بالواقع، ولذا تعد هذه الشخصية مشكوك فيها تاريخيًا مثلها مثل شخصيات كعنترة وأبو زيد الهالي، ويعد ذلك متاحًا للمبدع الشعبي، والذي لا يستطيع أن يفعل مثل هذه الإضافات مع الشخصيات الواقعية المعروفة فلن يتقبلها المتلقي.

1- جمال توفيق أبو العلا: دراسة تحليلية لقصة ليونجو للأديب الشاعر محمد كيجوما، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1993م، ص:27-117.

ومن صفات ليونجو التي تتشابه مع الأبطال في السير والملاحم الأخرى أنه سليل أسرة ملكية ويقول الشعر كسائر أبطال السير الشعبية العربية، وكذلك اغتراب البطل وبعده عن موطنه، وكونه جبارًا وقويًا ولا يتمكن أحد من قتله إلا إذا عرف سر قوته.[1]

- **خاتمة:**

وفي الختام، خلصت الدراسة إلى عرض بعض المفاهيم المرتبطة بالموروث الشعبي عند مختلف المجتمعات، ومحاولة إظهار التداخلات والصفات المشتركة بينها. ويمكن القول إن المفاهيم المرتبطة بالأدب الشعبي وخاصة الحكايات الشعبية والأسطورة والسير الشعبية وكذلك الملاحم الشعرية (خاصة الشفاهية) تشترك جميعها في عرض البطولات والصفات الخارقة الغير اعتيادية لأبطالها، والتي تميز كل مجتمع عن الآخر ولا تزال عالقة في الأذهان.

ومن جهة أخرى عرضت الدراسة ملخص عن الأسطورة السواحيلية فومو ليونجو، والذي يعد من أهم الموروثات الثقافية عند المجتمع السواحيلي، ومازالت شهرته إلى الآن.

وتوصي الباحثة بعمل مزيد من الأبحاث والدراسات حول السير الشعبية والأساطير في المجتمع السواحيلي؛ لندرة وجود دراسات من هذا النوع وذلك لمعرفة هذا المجتمع عن قرب والإطلاع على تاريخه الثقافي.

1- المرجع السابق، ص 120، 121.

- **قائمة المراجع**

أولًا: المراجع العربية:

- أحمد شمس الدين الحجاجي، مقال الكتروني، جريدة الأهرام، العدد 49627، 21- 10 -2022. https://2u.pw/Nm5dtn2 .
- جمال توفيق أبو العلا: دراسة تحليلية لقصة ليونجو للأديب الشاعر محمد كيجوما، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1993م.
- سعيد بن سليم الصلتي، وجوه البطل وأقنعته في الرواية العمانية، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، 2022.
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1985.
- شوقي عبدالحكيم، الحكايات الشعبية العربية، دار ابن خلدون، بيروت، 1980.
- شوقي عبدالحكيم، السير والملاحم الشعبية العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
- عامر رشيد السامرائي، مباحث في الأدب الشعبي، وزارة الثقافة والأرشاد في الجمهورية العراقية، بغداد، 1964.
- علي شعبان، عبد الحي سالم، القاموس الشامل سواحيلي – عربي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2015.
- مجدي وهبه، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974.
- نسيمة زمالي، مقال: البطل في الآداب العالمية: من الأسطورة إلى الحداثة، مجلة الذاكرة، العدد 5، 1- 5- 2015.

https://archive.alsharekh.org/Articles/337/21915/500869.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

- Jopo la Utafiti kuhusu Liyongo, Nyimbo za Liyongo, Taasisi ya Uchaguzi wa Kiswahili, Chuo Kikuu cha Dar es Salaam, Dar es Salaam, 2006.
- Julius Mungai Gichamba, Tasnifu ya Shahada ya Uzamili, Chuo Kikuu cha Nairobi, 2005.
- K. W Wamitila, Kamusi ya Fasihi(Istilahi na Nadharia), Focus Books, Nairobi, 2003.
- Mwenda Mbatiah, Kamusi ya Fasihi, Standard Textbooks Graphics and Publishing, Nairobi, Toleo la Kwanza, 2001.
- Timothy Kinoti M'ngaruthi, Fasihi Simulizi na Utamaduni, The Jomo Kenyatta Foundation, Nairobi, Chapa ya Kwanza, 2008.